

التحرير والتنوير

وجملة (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً) تعليل لجملة (اعبدوا الله) . وقصرهم على عبادة الأوثان يجوز أن يكون قصراً على عبادتهم الأوثان أي دون أن يعبدوا الله فهو قصر حقيقي إذ كان قوم إبراهيم لا يعبدون الله فالقصر منصب على قوله (من دون الله) أي إنما تعبدون غير الله وبذلك يكون (من دون الله) حالاً من (أوثاناً) أي حال كونها معبودة من دون الله وهذا مقابل قوله (اعبدوا الله) دون أن يقول لهم : لا تعبدوا إلا الله ؛ لكن قوم إبراهيم قد وصفوا بالشرك في قوله تعالى في سورة الأنعام (قال يا قوم إنني بريء مما تشركون) فهم مثل مشركي العرب فالقصر منصب على عبادتهم الموصوفة بالوثنية أي ما تعبدون إلا صوراً لا إدراك لها فيكون قصر قلب لإبطال اعتقادهم إلهية تلك الصور كما قال تعالى (قال أتعبدون ما تنحتون) .

وعلى كلا الوجهين يتخرج معنى قوله (من دون الله) فإن (دون) يجوز أن تكون بمعنى (غير) فتكون (من) زائدة والمعنى : تعبدون أوثاناً غير الله . ويجوز أن تكون كلمة (دون) اسماً للمكان المباعد فهي إذن مستعارة لمعنى المخالفة فتكون (من) ابتدائية والمعنى : تعبدون أوثاناً موصوفة بأنها مخالفة لصفات الله .

والأوثان : جمع وثن بفتحتين وهو صورة من حجر أو خشب مجسمة على صورة إنسان أو حيوان . والوثن أخص من الصنم لأن الصنم يطلق على حجارة غير مصورة مثل أكثر أصنام العرب كصنم ذي الخصلة لخنعم وكانت أصنام قوم إبراهيم صوراً قال تعالى (قال أتعبدون ما تنحتون) . وتقدم وصف أصنامهم في سورة الأنبياء .

(وتخلقون) مضارع خلق الخبر أي اختلقه أي كذبه ووضع أي وتضعون لها أخباراً ومناقب وأعمالاً مكذوبة موهومة .

والإفك : الكذب . وتقدم في قوله (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) في سورة النور .

إبراهيم قوم كان إن (رزقا لكم يملكون لا الله دون من تعبدون الذين إن) وجملة A E يعترفون الله تعالى بالإلهية والخلق والرزق ولكنهم يجعلون له شركاء في العبادة ليكونوا لهم شفعاء كحال مشركي العرب تكون الجملة تعليلاً لجملة (اعبدوا الله) واتقوه (أي هو المستحق للعبادة التي هي شكر على نعمه وإن كان قومه لا يثبتون إلهية لغير أصنامهم كانت جملة) إن الذين تعبدون من دون الله (مستأنفة ابتدائية إبطالا لاعتقادهم أن آلهتهم ترزقهم ويرجع هذا الاحتمال التفريع في قوله (فابتغوا عند الله الرزق) . وقد تقدم في سورة الشعراء التردد في حال إشراك قوم إبراهيم وكذلك في سورة الأنبياء .

وتنكير (رزقا) في سياق النفي يدل على عموم نفي قدرة أصنامهم على كل رزق ولو قليلا .
وتفريع الأمر بابتغاء الرزق من ا□ إبطال لظنهم الرزق من أصنامهم أو تذكير بان الرازق هو
ا□ فابتغاء الرزق منه يقتضي تخصيصه بالعبادة كما دل عليه عطف (واعبدوه واشكروا له) .
وقد سلك إبراهيم مسلك الاستدلال بالنعم الحسية لأن إثباتها أقرب إلى أذهان العموم .
و (عند) ظرف مكان وهو مجاز . شبه طلب الرزق من ا□ بالبحث عن شيء في مكان يختص به
فاستعير له (عند) الدالة على المكان المختص بما يضاف إليه الطرف .
وعدي الشكر باللام جريا على أكثر استعماله في كلام العرب لقصد إفادة ما في اللام من معنى
الاختصاص أي الاستحقاق .

ولام التعريف في (الرزق) لام الجنس المفيدة للاستغراق بمعونة المقام أي فاطلبوا كل رزق
قل أو كثر من ا□ دون غيره . والمعرف بلام الجنس في قوة النكرة فكأنه قيل : فابتغوا عند
ا□ رزقا ولذلك لم تكن إعادة لفظ الرزق بالتعريف مقتضية كونه غير الأول فلا تنطبق هنا
قاعدة النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى .
وجملة (إليه ترجعون) تعليل للأمر بعبادته وشكره أي لأنه الذي يجازي على ذلك ثوابا
وعلى ضده عقابا إذ إلى ا□ لا إلى غيره مرجعكم بعد الموت . وفي هذا إدماج تعليل العبادة
بإثبات البعث .

(وإن تكذبوا فقد كذب أمم قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين [18])